سُكونْ

{ نصوص ليلية }

أهدي الكتاب

{ لنفسي فقط فهي وحدها من تستحق الاهداء...}

الفصل الأول

.....

كنت السعادة التي آتتني بغتة فكانت اجمل الصدف ..

كنت الملجأ الذي بحثت عنه دوما بين غياهب الليالي و لم آجده ! ..

و هاهي ليالي العمر تنير سماء كوني بضيائك ..

الثامن و العشرين / من نوفمبر..

لطالما وددت ان أنتمي لكتاب ما .. وددت الهروب الى حروف أحدهم ! و لم أكن أدري أن نوفمبر بذاته سيبحر بي الى حروفك ..

كان هذا اول يوم لي و انا أدخل عالمي الجديد .. عالماً بات جزءا من كياني لا يفارقني البتة! ..

حيث مررت على حروفك ، فكانت تأخذ مجلساً بين الاضلع ..

.

.

الأول / من مارس ...

انتهيت من قراءة حروفك ، حيث أبحرت بي الى عوالم خفية ! ، رأيت نفسي بين حروفك .. و رأيت النور بين سطورك .. رأيت لمعان طيفك الكاحل في سواد كلماتك ! رأيت البحر و الكون يرتسم على شطئانك.. ثم مضيت لأنهي كل ما أنجزته أناملك.. كانت تسعدني حقا ! و كآن الاطمئنان يخرج من جوف المعاني في حين ان الاطمئنان كان معدوما ..

شعرت بفوضى مشاعري تعصف في جوفي ! وبأطنان الذكريات تزخ زخاً كزخ المطر في ثنايا عقلي ..

حيث عادت بي الذكرى الى كل قوقعة مظلمة قد أسُرت بها .. و أيقنت انني اضعت عمري في الهروب من سراب الوهم الذي كان يتملكني ! حيث كان فؤادي يعتصر و ينزف غصصا على من قتله !

فلم يقتلنا سوى من كنا نقدس وجوده في كياننا .. و لم ينهش أرواحنا سوى علاقاتٍ بنينا لها وسط الروح مسكناً ، ف ثارت في يوم و ليلة و زلزلت مدينتنا ، حيث لم يعد هنالك طمأنينة ...

لكنني وجدتها بك ! وجدتها داخل عينيك تؤنس روحي بها ..

أخبرتني حينها انه " ***قد تقتل الأوطان اوطانها ، و اتخذت منها وطنا في حيث انك عهدت لوطنك ان لا يخان ، فكنت شعبا لم يخن وطنه يوما ، بل كنت شعوبا تخونها الأوطان .. "***

أجدني حائرة كيف ألملم شمل أوطانك و أعيد لك نسيم الحياة من جديد ! وددت أن أكون لك وطنا من بلاد بعيدة لا تعرف الخيانة و لا الهجران ..

لست أدري كيف تخوننا الأوطان، و نحن الذين وهبنا جوارحنا لها! .. فها نحن خُذلنا في نهاية الطريق، نحاول لملمة بعثرتنا التي تناثرت على بقايا أحلامٍ بنيناها على أرض الوطن ..

" سل قوم ارض بروحي قد مررت بها يخبروك عنها وما بها قد أصاب، فيروون لك عن كل حروبها فمات شيبها و شاب من بها شباب ..".

سألتني يوما " ***متى الخلاص من كل ما نمر به ؟*** "

أخبرتك انه حين تهب أمواج الربيع الى صفنا و تهبُنا من أطواق الراحة عقداً.. ولعل القلب يزهُر ربيعاً في يوم ما و هو يتنهد حسرة على ما اهداه موج السنين..

كانت الأيام تقسو عليّ مرارا، ولكنني كنت أراك في كل جانب تحمل بي بعيدا عن كل ما يرهق فؤادي..

لم أعهد أن أبثّ شكواي لأحد! فما من طيفٍ يفهمها.. ولكن ما ان وجدتك حتى تغير كل شيء ..

كنت دوما شامخا مبتسما في حين أن ضجيج مدينتك يشعل نيرانا لا تنطفئ ! .. كنت دوما سندا لنفسك، ف معاذ الله أن يرى الانس انكساراتنا ، و نحن الذين نسندهم بأرواحنا ..

أتذكر عندما اخبرتني بسرك الصغير ؟؟

ها انا الان امشي على دربه، ف ***" أسلم امري الى بارئي في كل شيء ، فامشي على عمادٍ أقمتها بذاتي و انني اسعى و ارضى بما يقسمه لي بارئي ، و من هنا وصلت لمرحله انني لا املك ما أخاف خسارته ! .. "***

كنت أردد ما كنت تقوله لي لأنقذ نفسي ! فلكم كنت بحاجه لمن يدعمني دوما ! ..

ومهما تخبطني الموج كنت له شامخه لا أهابه و لا أهاب الغرق!

أحاول دوما ان أتحلى بالقوة ، ألم تخبرني يوما " ***بأن الصلاح سيعود على أيدينا*** "؟؟ و هانا أسعى لذلك .. فنكون السلام و نجلب السلام الى كل من كان غافلا، و نشعل الفتيل معا ف نعود لبناء عصرنا و نرتب أبجديتنا سويا .. ف نحن سنبني كل شيء ف " ***ذاتنا ليست لنا*** ! و انما هي لغيرنا، لأوطاننا ، لأجيالنا القادمة ، و لكل ما سنتركه خلفنا ..

أجدني غريبه وسط أوطاني! أدور في دوامة لا متناهية، و أصرخ أين المفر ! و أجهل أن النهاية ليست بالدوامة و انما انا من يدور بها .. نرى المشكلة حولنا و نحاول ان نجد حلاً في حين اننا ننسى ما نملك بأيدينا ، حيث نستطيع ان نكون الحل .. و لكننا دوما ننظر بطريقة ناقصة و ننظر الى الفراغ طالبين منه ان يأتي بعقد النجاة .. " ***فلربما لا نقبل على الربيع بل نحن من نأتي به بأنفسنا ، حتى يأتي الربيع و ينتهي الشتاء ، سنتعلم الا ناكل حين يأتينا الطعام فقط ! بل سنتعلم كيف نصطاده ..."***

.
.
.

الثاني / من اذار ..

" و جاد جواد بجوده فكان ، خلق لم يكن كإنس او بجان ، فجنى بمائي كالأجان ، بوح كن بكوني بالكنان ، ما كان لكائن آن يكن بكيان ، جان ببوحه من قبل جنان .. "

نحن الضحايا التي لم تُبنى لهم ملاجئ لإيواء حزنهم.. نحن القتلى لضجيج افكارنا المستمرة ، الى اين يفر المرء لغير نفسه! و من ذا الذي يتفهم هواجس أفكارنا المتضاربة!! اذ لا أحد يمكنه أن يخمد نيران الضياع ، تلك النيران التي باتت تحرق كل اشي حتى حرقتنا...

. .
لا مهرب من كل ما يجول في أفئدتنا ، يحاول المرء ان يهرب من نفسه بالنوم ثم ما يلبث الا ان يغدو ضحية الارق !
تربكنا تلك الحقائق و تلك التفاصيل التي باتت ستاراً يتراقص أمام أعيننا! نحاول ان نحرق تلك الستائر ولكن دون جدوى ، ف ظلال الحقيقة تلاحقنا بخيبة موجعة....

. واليوم بتنا نحن الضياع والهاوية تسكن فينا...

الخامس / من ابريل ..

" أيا دهرُ قل لي ما تريد بي ، أما كفاك موتي من بعد موتٍ و إحياء ، هاك بقاياي فافعل ما شئت بها ، فما ضررتني بحرق تلك الاشلاء ، هجرت كوكبي و عالمي و أكواني ، و أبيتُ عن ذكريات تحمل تلك الأشياء، سكبتَ ماءك على من كان غريقاً ، و ليس بغريقٍ من يسكن بقعر الماء ، قتلت ميتاً و ظننت بآنك تزيد موته كأنك أتيت بنائمٍ فزدت نومه بإعياء ..."

كان الليل يحتضن حروفك بولهٍ كبير، و يقول لك مواسياً كيف للدهر أن يقتل من كان نوراً على أرضنا الجرداء ! أيا دهراً أحرق بعثرة أشلائي و اسكب من ماءك ما شئت ! ولكن لا تمسّ من كان لنا كياناً بسوء .. لست تدري ولكنني أتيك بكياني و الكيان لك قد كُتب ، فإن لم يكن كيانك هو كياني فأين يفر الكيان من وحشة الأيام ..

أتراك تبصر النور في عيناي ؟ و تسمع لحن قلبي وهو يشدو لك أيا كياناً يلامس شفاف قلبي فيكون الكون كياناً لمجرتي الكونية ، كُن انت السبيل لمنفذ ذاتي ، ليدوم حال قلبي ..

كان الليل يؤرقنا دوما ، فتمر بنا الذكريات و الأفكار متراقصة على أوتار مخاض الحنين ، كنا نضيع وسط حربٍ لا قتال بها ، كالضرير يمشي بنا الهوى لنعود محطمين منه ..

أذكر في ليله قلت لي " ***ها انا و كُلّي عوالمٌ لتتسع جبالك بها " ..***

كنت تعلم ان الشيب قد طغى على روحي و شاب بها من سواد ، إذ قلت لي يومها " ***يكاد سواد عينيكِ يحول للبياض " ..*** كنت ترى الكثير في حين كانت الانس غشيمةً عن ما يجول بي . كنت تنظر في عيني متأملاً بحرها ***كأنها محيطٌ لا بادئ له ولا نهاية*** ..

لطالما أخبرتك أنك بمثابة النور الذي يقبع وسط ظلام الكون فيملآني بهجة و سرورا ، ك اللؤلؤ في أحشاء المحيط تلمع بين ثنايا ذكراي فيبتسم طيفي لمرورك العابر ..

لطما تفتقر الروح لمن يُهَنيها و يحملها على بساط النّعم و يرضيها ، تفتقر لأنيسٍ يلاطف شفاف شغفها و

يكون لها سنداً في كل وقتٍ يضعف فيه الفؤاد و الجسد ، و الى ملجأٍ تتكأ عليه حين تخور قواها ..

كم هو صعبٌ على المرء أن يغدو شبحاً و ملاكاً في نفس الوقت، كيف لأرواح البشر أن تغدو كابوساً قاتلاً !

أسأل نفسي دوما! لم علينا التعايش بنفاقٍ يقتل براءة أرواحنا..؟

أسأل نفسي هل خُلق الانسان بلا معنى؟ و ما معنى الروح ان لم تكن تحيا ؟ ..

أتنهد حسرة على كل ما مضى و على ما سيمضي..

و على أطنان ذكريات الهوى و عذابها..

وعلى بعثرة الروح التائهة من كل البشر...

.
.
.

في احدى ليالي مارس ..

" ستشرق شمسك من جديد " ..
" سيطيب اطمئنني ولا تفقدي الامل " ..
" كل شيء سيكون جميل كتفاصيلك التي تحملينها .."
" كل شيء سيكون بخير اطمئني " ..

لكم هي الروح خفيفة بسيطة، تسعى لمن يطمئنها دوماً. لسنا ندري لكننا نداوي أنفسنا بالكلمات و نقتل بعضنا بها أيضاً ، تهلكنا مصاعب الحياة و مرارتها لتمسي قويا بكلمة تُسقى بها سكينةً .

أدركت الان كم كانت كلماتك و حروفك بمثابة الدواء لدائي، حيث كنت أرتشف من رحيقها سلاماً، سلاماً ينتشلني من عالم الضياع الى مدارات الامل ..

تمر بنا الأيام و تقذف بنا في قوقعة الخوف، في الانتظار القاتل، في الحنين المُبهم ..

نحتاج لحضنٍ ينتشلنا من كل شيء.. يبعدنا عن سرابٍ يتربص بنا.. لنغدو أحرارا نملك ذاتنا فقط ونرتشف من

نبيذ الحياة قبلة لأجل كل ما سلبته منا ...

.

.

العشرون / من أيار..

" انتِ الحقيقة من بين الأوهام.. "
" وعونٌ ومن لي سواكِ عونْ! وقيدٌ عن معصمي ما انكسر.. "

كنت لي سندٌ ومن لي سندٌ سواك كعقدة أحببتها ولم أفلتها..

مازلت أذكر جملتك حينما أبصرتني جاثية على ركبتاي أحمل أثقال همومي وهناً وأجهش بالبكاء، فاقتربت مني حينها و

أخبرتني بكل دفء:

" ***عيناكِ وطنٌ مطمئن فلا ترهقيها بضياع "*** ..

.

.

تبحر بنا سفننا الى البعيد، وحيدين محملين ببقايا أملٍ عثرنا عليه في جوف قلوبٍ صافية، حيث تركنا بعثرتنا في منتصف الطريق وأكملنا الإبحار الى عوالم الغيب، حيث المجهول ينتظرنا، قلت لي يوماً:

"***قتلت نفسي بنفسي لنفسي علّني أبصرت نوراً فيها لو مرة فأرانـي*** "..، أخبرتك حينها أن علينا أن ننطلق الى دربٍ لسنا نحمل فيه خطيئتنا، فلا الندم يلاحقنا ولا الخيبة تكسرنا.. فلقد خارت قواي كما يذبل غصن ريحانٍ يابس.. تأبى النظر الى البعيد وتجلس يتيماً فقير الشغف.. تجبرنا خطيئتنا على المكوث في قوقعة العجز، حيث تتمنى الموت بدلاً من الذل المتواصل لذاتك ...

فتقتل نفسك وانت تتلوى ألما وذلاً على ماضٍ يحمل شرورنا.. تقتلها علك تجد ذاتك، وتتبرى من خطيئتك تلك لتبحر في عوالم الغيب..

سينسيك الموج تلاطمَ فوضى غبارك العتيق وجرعات الألم.. حينها ستدرك ان الأوطان قد تقتُل لاجئيها في ليلةٍ وضحاها، فتبقى مجهول الهوية أينما وليت وجهك هارباً.

وفي ظلمات الليل على هدوء الأمواج ستميل منشداً ***" قد بكى الفؤاد على نفسه حسرةً! وألف سهمٍ فيّ استقر وأعياني " ..***

كنا قريبين جداً، كسفينةٍ وشراع ولكن لكلٍ منا ما يوهن صدره، كنا نعلم أن الهوى سيداوي جروحنا الخرساء، تلك الجروح التي أمست لآيامٍ تئن بصمتٍ أخرس. ولكننا على يقين بأنه ما من جدوى للنسيان وبأننا سنتعود، وستتأقلم الروح على كل ما جرى حتى ينعدم الوجع.

.

.

الليل داكنٌ يملأه سوادٌ معتم، لم يبقى لبريق النجوم أثراً كحال قلبي الليلة..

لا أسمع صوتاً يأتي من شجيرات الظلام الدامس، وكأن الليل بات يخشى من ضجيجه المُرهق، فأمسى يدفنه في بقاع الأرض..

أنهي كوب القهوة في هدوء تام وأتأمل القمر البعيد.. كانت نسمات الربيع دافئة وعذبة، إذ تأخذ بي الى عالمٍ ارتسمناه سوياً.. لأعود بأدراجي الى الواقع المرير الذي أعيشه، وابتسم بسخرية لكل ذكرى..

كيف يغدو الانسان وحيداً بعد كل هذه السنين؟ فكلما كبر الانسان وجد نفسه يصارع وحشة الوحدة يوماً بعد يوم.. يظن المرء أحيانا بانه غير قادرٍ على التعايش بدون أحد، فتُزرع تلك الفكرة في لبّ عقله ويغدو ضعيفاً يهاب الوحدة.. ولكنني كنت أرى بعيني الثانية، فلقد وجدت فالعزلة عالماً ينتشلني من الخراب الذي يحاصر واقعي.. بت أرى في الانعزال راحة كبيرة، فليس لي طاقة بعد الان على مجابهة سذاجات البشر وغرورهم، بت أهرب من كل شيء، وأصنع لي عالماً لي لذاتي فقط..

فلا الاهل يعرفون لي سبيلاً ولا بقايا البشر..

حيث أكون أنا لنفسي فقط.. حيث أكون حرةً طليقة بلا قيودٍ تعيق معصمي، بلا حبالٍ تشد على رقبتي، بلا أقنعةٍ أُجبرُ على ارتدائها لإتقان فن المجاملة وسط مسرحية البشر..

أخبرتني في ليلة ما بأنه "***لا أحد باقٍ طول العمر*** ". لم تدرك حينها أنني لم أرد أحداً سوى نفسي التهائة..

أردت مني الوقوف على قدمي بنفسي وأن أصمد نفسي بنفسي، لم تكن تعلم كم هو صعب علي!

أخبرتني بأنني قادرة على أن أكون لذاتي كل تلك القوة التي أريدها. كنت تشجعني دوماً على الصمود، كنا نعلم مدى صعوبة هذه الحياة ومدى خيباتها.. أردتُ أن أكون قوية كما أردتْ، أردتُ أن أكون الداعم لذاتي، ولست تدري كم كان هذا شاقاً علي! ثم ما ألبث أن أسمع كلامك فتغدو المشقة وهماً عابراً لا أبصر لها وجوداً.

.....

كان صوت الليل أزرق..

ونسيم الربيع يلفح وجنتاي انتعاشاً، سُكون عتمة السماء ترسم لي نجماً يلمع انعكساً في عيناي، كنت أراك هناك، جالساً على مقعدٍ من الخشبِ العتيق تحت شجرة التوت.. كنت تنظر إلي بعسليتيك الساحرة، وتميل برأسك مبتسماً وكأن سُكون الكون خُلق في حُسن بهائِك..

كان النجم يلاحق خطاي ببطيء، أتحسس ذلك العشب الرطب بقدمي وظلي يلاحقني بخجلٍ ودود إذ يتراقص على العشب اليافع بخفة غزال.

خرير الماء يغني بعذوبة الهوى، ونميل على أكتاف بعضنا كما تميل الرياح على أمواجنا، تتخبط قلوبنا ولهاً كالمتيّم يغدو فؤادي بلا قيود بلا أغلال تعيق طُرقنا.. لم يكن هنالك ما يسقيني قوةً سوى قبضة كفك بكفاي ثم ترويني بحروفك "***وإذا تمايلتِ تمايلت كل مائلة بروحي، أميل أميالاً إليك وعنك لا أميلُ "..***

همستُ: كيف لي أن أعزف لهذه الحروف ما يضج به الفؤاد وهي على أعتابها غارقة "..

لم تكن تعرف أنني أجيد العزف، و في تلك الليلة عزفتُ للحب و الهوى، عزفتُ لسلام الروح، عزفتُ لأنغام مُهجة عينيك، و عزفت لأوتار الجوى..

.

.....

اقتربت الساعة من منتصف الليل، لم أكن أريد أحد..

كان الجو لطيفاً، و زُرقة السماء الكاحلة تبثُّ الراحة في الوجدان، كان قلبي يهوى سُكون الليل.

خرجت على مضض بتثاقلٍ، لم يكن لي رغبة في شيء سوى الهرب..

الهرب من كل شيء الى اللاشيء حيث لا شيء يوجعني، لا الحنين ينهش من قلبي أشلاءً، ولا ألسن البشر تكسرني..

أردت فقط السُكون، السُكون لروحي ولعالمي..

كانت قدماي تسيران لوحدهما وأنا لوحدي لا أملك بيدي شيء.. كان حديثنا ليلة أمس يتردد على مسامعي..

" ما الذي يشغل بالك ؟"

" أفكارٌ تراودني عن كل ما يجري حولي "..

" أخبريني بها ! "

صمت قليلاً لست أدري من أين أبدأ فكل ما بي يضج بالبعثرة!

" تارة أسافر الى الماضي وأذكر تفاصيلاً لم أدرك قيمتها سوى بعد فوات الأوان، وتارة أسافر بأفكاري الى وضعٍ نعيشه بإجبار ونحن لم نرضى به!

ويأخذني الحنين فجأة لأناسٍ قدسنا وجودهم يوماً.. أفكر أحيانا لم لا نملك السيطرة على واقعنا؟ ونغير كل شيء على هوانا؟ "

كنت تنظر لي باحتضان وطمأنينة وأخبرتني بكل هدوء:

"نحن نملك السيطرة على معظمه "..

كان الأمان يتسرب من حروفك، لكنني لم أقتنع بهذا، كنت أشعر نفسي حبيسة واقعي، فكيف لي أن أغير من طباع قلوب البشر؟ كيف أحول كراهية بعض القلوب الى حب كبير؟ كيف أنشر السلام بالأنفس وهو معدوم؟!

كيف أطرق باب الامل وهو أبعد ما يكون عن طريقي؟ كيف!

وهل تُصنع السعادة أم هي مكتوبة في الاقدار؟

فلا أجدني أراها تُزرع في طريقي وبات السعي إليها معدوما، كما انعدم الشغف..

أخبرتني ليلتها قبل أن تذهب: "***يكفي أننا نملك السطلة على أنفسنا لتتحسن حياتنا "..***

استيقظت فجأة على صوت نباح كلب لم أرى منه سوى ظلاً وكأنما كان يحمي نفسه بنباحه، كنت قد وصلت لأخر الشارع، شعرت بثقل جسدي يرهق قدماي، فاتكأت على مقعد قريب علّني أريح ثقل أفكاري أيضا.

أصارع حروب مدينتي لوحدي، حروباً لم أتوقع يوماً أن تشن على مدينتي، حتى غدت مدينتي خراباً لا تصلح لشيء..

.....

الفصل الثانـي

.....

أعود منهكة الروح و الجسد ، أنظر الى زوايا غرفتي بخمول ، ثم أهم بفتح الستائر علّني أستشعر بالنسيم العليل الذي يغطي سحاب الكون ... ها انا وحيدة من جديد ، تمنيت أن أجد من أبادله همومي ، تمنيت لو

. انني حظيت بكتف أتكأ عليه عند تعبي و إرهاقي .. وددت كثيرا لو انني لست لوحدي الان

بكيت بغصة ، و كأنني لم أبكي لدهر طويل ، كان البدر يراقبني فيبعث النسيم ليطبطب على جفوني الثقيلة ،

.. كانت ليلة قمراء داكنة السواد تذكرني بكل شيء...

كان هنالك ما يوجعني .. لست ادري اين هو الألم الا انني كنت أتلوى وجعاً .. هل كان ذاك فؤادي الذي

ينزف ؟ آم انها الروح تحتضر ؟ لست ادري و لكنني كنت أعتصر وجعاً ، و قهراً ، .. شيء ما ينهش

.. روحي و يوخز في القلب ثغرةً دائمة

مان صوت الليل أخرس ، لم أكن أسمع للسحاب صوتاً ولا سكون الكون يطفئ من نيران روحي المحترقة

.. حتى غدت أشلائاً متناثرة على هوامش الحياة..

..كان كل شيء يوجعني ، أحاول مسح دموعي الا ان صوتك يعاود قتلي ، لم اعد احبك

أقول لنفسي ، و أشعر ان هنالك شيء ما يبغضك .. أيكون قلبي المرهق ؟ ام ان الشك قد طغى على كل شيء !

بت أراك بعيداً و انا العاجزة عن الركض .. قد يكون ذنبي انني وقعت في جريمة الحب .. و بت لا ابصر

.. شيئا امامي..

أراني أبغضك كثيرا و أود الهروب الى حيث المفر .. لم يعد هنالك ما يشعرني بالطمأنينة ! حتى انت بت

لا تعني لي شيئاً و كأنك حب عابر .. لست ادري لماذا اسأل نفسي ؟ هل أحببتك يوماً ؟ او هل أحببتني انت

يوما ؟ لا اظنني امتلكت قلبك في يوم ما !.. كنا غرباء دوما نلوح لبعضنا على مرسى الهوى حيث نرمي

بكياننا في محيط الجوى .. يسخر الليل منا و يفر قلبي باكيا الى قوقعته ، الى المكان الذي رُسم عالمه برفقة

عابر ! .. خطّ طريق حياته برفقة من لا يراه ..و هكذا أدرك الان حماقة الاحلام ، و سخافة الهوى .. فليس

... كل ما نهوى هو لنا ، و كما تموت أزهار الاقحوان بلا ساقي ، ماتت الروح و انطفئت

هل سأحبك من جديد ؟ أخشى أنني سأودعك الى الابد .. و قد نلتقي و ما فائدة اللقاء بغياب القلب ! .. كطيف حطّ بظله امامي و ظل راكضاً يخشى المواجهة .. لقد تغير الكثير ، و انا على يقين بأن تلك الحكاية التي لم

..تبدأ بعد قد شارفت على الانتهاء ، أو انها انتهت فعلا قبل قليل..

كنت أخشى الليل وحدي ، انتظرتك طويلاً رغم انه لا وعود بيننا .. و ها هي الايام تتوالى شيئا فشيئا حتى بات كل شيء ممكناً .! كيف أبكي على فراقك وانت لم تكن لي يوماً !.. و قد يبكي المرء على حاله أكثر من

اي شيء .. كما يجهش قلبي الان ... منفطرٌ لست ادري كيف اواسي نفسي بنفسي و كيف اكون الداعم النفسي ؟! ..

حقا كنت بأفضل حال قبل ان اراك ، و ها انا الان احتضر وجعاً لا يعلم به احد .. وددت لو اقتلع ذاك الذي يعتصرني ألماً ، لطالما وددت ان اقتلع قلبي من جوفه .. ذاك القلب الذي سيبقى به ثغرة صنعتها أناملك .. أحاول ان أصارع الموت لوحدي ! أحاول ان امنع دموعي من الانهمار لكنني أفشل في كل مرة ، فلقد تعبت حقا من الاختباء ، تعبت من الفوضى التي تعتريني و من الغصة التي تنهشني نهشاً. ..

..يحرقني الكتمان ! كمن تُرك نزيفاً على حافه الطريق

تارة أرتعش خوفا ، من الالم ، من الحب .. و تارة أجدني على سفينة الهوى مبحرة يخطفني الشوق لعينيك ..

لأعود بعدها و اغني ل الليل خيبتي و آلمي و ارمي بعثرتي في دجى الليل ... أظنني بحاجة الى طبيب يفهمني ! و لكن من ذا الذي يفهم سبل نجاتي و انا التي لنفسي محتارة ، يتملكني الخوف و الضياع ..

لن أنساك ، بت على قناعة تامة انه لا جدوى من الخداع ، فلن أقدر على النسيان و لكنني لن أحبك من جديد..

فلن أقوى على مجابهه تلك الاشواك مرة أخرى .. لن أكتب لك الرسائل مجددا ولن يلفح نسيم هواك .. جدران بيتي

لن تزورني في احلامي و لن تسرق من قلبي أجزاءاً اخرى فلقد خارت قواي منك حقاً و ها انا اعلن استسلامي ..

لن انساك ولكننا لن نكون كما كنا .. و كما يأتي الربيع بعد غسق الليل .. لن يشرق ربيعنا بعد هذه الظلمة ، فلست تدري انك قد قتلتني قبل ان نصل الى تلال الربيع ...

أحاول ان اكون قوية و ان اظهر لا مبالاتي ، ولكن مالي أراني أذرف وهنا على وهن ! .. و كيف أجفف تلك الانهار و أعيد لمجدها الضحكات .. أقول لنفسي و كيف يضحك الميت و هو جثة هامدة !..

أدخل غرفتي و انا ابتسم بسخرية .. لقد كان لي نبضا في الروح قبل لقياك فسحقا لكل شيئ

....

كنت أعلم انك لن تكون برفقتي حين يهجرني الجميع ، كنت أعلم هذا منذ البداية و لكنني بكيت !.. لم ادري لم هطلت انهار الجوى من جوفي .. كنت أجهش بالبكاء ليلتها كما تبكي السماء في ليالي ديسمبر .. كان صوت الليل كئيبا ، كان القمر يعزف الناي الحزين على وتر اوجاعه .. لم ادرك بان قصتي ستكتب على ورق دون حبر ! فليس هنالك ما يزين سطورها سوى دموعي و آهاتي المتناغمة على صدى الكتمان ..

رغم معرفتي بكل شيء الا انني كنت ابكي في كل مرة ، كان قلبي يرفض تصديق كل ما يراه ! أبكي حسرة على نفسي .. كنت شيئا ثمينا أخبئه في ثنايا مخيلتي ، كنت أخبر الليل عنك ، و أروي لزهور الاقحوان تفاصيلك المبهمة ، عجزت كثيرا ان اصف لهم أنغام ضحكتك التي سلبت لي لب عقلي .. كنت دائما تتصدر قائمة أحداثي و اختتمها بك أيضا ..

كيف يكره المرء ظله ، وانت ظلي ! كيف لي أن أغدو طيرا حرا دون أجنحة ! و انت مرشدي وسط عثراتي ، و انت العين التي لم اكن أرى سوى فيها ، حيث غشى الضباب عيناي و لم تعد تريان شيئا بعد لقياك ، فما صنعت بهما ؟ كيف أرد الروح لهما في غيابك ! كيف أزيل غيمة الضباب التي تملكتني ..

و ها انت ترحل بعيدا ..

لست أدري هل انا سعيدة بذلك ! .. أبغضك الان كثيرا اكثر من أي شيء .. يجهل قلبي هذا الانفصام الذي بت اعيشه في كل ليله إثر هواك ! فما عاد لي عقل عاقل ولا روح ساكنة ..

تتعجب من صنيع افعالك و تتساءل عن تغير تصرفاتي ! و لست تلوم افعالك التي ابحرت بي الى هذه السبل !

و لست تلوم لسانك الذي ينطق بما يبكي الفؤاد ! لست تلوم نفسك ! تمنعك أنانيتك من الاعتراف بالخطيئة ..

و كأنك ذاك الملاك الذي يقبع خالدا في محيط الكون ، تنفيه الفطرة من الخطيئة ! ..

ماذا صنعت بنفسي ؟ كنت ملاذي حتى باتت ذكراك تقتلني ..

كنت المفر الذي أفر اليه و ها انا الان اهرب منك ! لست اعلم لكنني بت أبغضك كثيرا ..

مازلت احبك الا انني ابغضك ، هل انت دائي ؟ و كيف اشفى منك و انت داء مزمن يوهن الجسد و ينزف الروح حتى تتآكل ولا يبقى من رحيقها شيء يذكر ..

..

الساعة الان الحاديه عشر ليلا ..
فراشات ترقص في معدتي لست ادري كيف أوقف هذا الهذيان المستمر .. ابغضك كثيرا ! تقلتني رسائلك في كل مرة ، تغمزني مشاعر متخبطة ، تتجمع عباراتي في مقلتاي ، اشعر بشهقاتي تخترق سقف غرفتي ..

كيف لحروفك ام تصنع بي كل هذا ! كيف لها ان تحول جسدي من سكون ذائم الى هذيان عاشق مجنون ؟!

لا اجد تفسيرا لهذا التقلصات التي تعاود الرقص فتعصر معدتي الما و فرحا و كآن الكون كله يقبع في كياني فلا تسعني الدنيا بأكملها ..

أجلس على حافة سريري و يداي تقبصان على معدتي علها تهدئ قليلا في هذه الفوضى المتخبطة .. اين افر بصراخي المكتوم في حوف محيطي ! اين افر راكضة الى حضن يحتوي وجعي و فرحي معا ! من ذا الذي سينتشلني من هذا السراب الذي اعيشه ! من هدا الوهم القاتل ! حتى رسائلك بت أبغضها! أدركت في هذه الليلة انني سأموت يوما اثر رسائلك لي قي كل يوم ..

..
..
كان صوت الهوى يغريني دوما ، كنت أحلم بعالم في الافاق البعيدة ينتشلني من الوحدة التي اصارعها منذ الصغر ، لم يخطر في بالي ابدا بانني سأخشاه يوما ! سأخشى مجابهة نفسي ، و مجابهة روحي ! لن اقوى

على الاعتراف ، فها انا اراني انكر في كل مره ، بينما تأكلني مرارة قلبي ! كيف اقوى على المجابهة و انا التي بت اخشى كل شيء ، حتى نفسي بت لا اترك لها مجالا ، اعلم بانها ستطير يوما الى ما تريد ! اعلم انها لن تبقى قي سجن الخوف الذي أنشأته رغما عني ... حتى نفسي لن تبقى معي الى الابد ..

أعد الدقائق و الساعات انتظر منك جوابا ، و كأن جزءا من قلبي تربع بين عالمك و نسي طريق العودة !

كان غيابك كسيف في الروح يقطني ارابا متناثرة .. كان انتظاري لك أعواما بطيئة .. و حصل ماكنت أخشاه ذوما ووقعت أسيرة لأغنية الولع .. كان المرض يأكل من عمري كثيرا ، لم اعلم ما هو مرضي و لكنني على قناعة بان بسببك ، فلقد كان مصدر الوجع مجهولا ! كنت افقط اتلوى يوما بعد يوم .. كنت تسرق مني أعواما كثيرة و انت لا تدري بما تصنعه نفسك ...

لم اكن انا يوما ما انا علبه الان ، صدقني لم اكن ، و بات الرجوع الى نفسي القديمة صعب جدا او حتى مستحيلا ...

أحاول النوم ، لطالما كان الارق يسرق النوم من عيناي ، فلا اذكر متى نمت بعمق اخر مرة ! كنت اسال نفسي دوما كيف للمرء ان يحب دوم ان يدري لماذا ! لم اكن اعلم لمادا اكن لك هده المشاعر ! .. أتراه النقص؟ ام انني ابحث عن ذاتي في كيان الانس ؟ لست ادري كانت دوامات الأسئلة تلاحقني كسرب من النمل باستمرار ، عبثا ان اجاوبها .. هل كنت اخشى الإجابة ان انني لا اعرف ؟ ..

اضحك بسخرية ، كيف يغدو المرء غريبا لذاته ! و كأنني المغتربة للوجدان ، فاين هي الطرق لذاتي و لوجداني ؟ اين هو حقيقة كياني؟ و اين هو النقص الذي ابحث عنه باستمرار مخيف ؟ ..

كنت أرى انعكاس دموعي وسط ظلمه الليل ، حاولت ان اكبحها لكنني فشلت كالعادة .. هنالك شيء ما يخنقني أجهل سببه .. كيف يتغير أحوال المرء في ليله و ضحاها ! و هل يفعل الهوى ما يفعله بكياني ؟ ام انه الوهم الذي يصيبني فألقى حتفي سريعا ممددة على السرير بلا حراك ، بعجز أخرس ، بينما نظراتي معلقه على

سقف غرفتي و كأنني اناشده بالرحمة ! عله يحمل عني عبئا أجهل عبقه..
كنت اختنق في كل ليلة، اختناق اخرس فلا غيهب الليل يسمع انيني ولا الجدران، أنين يقبع في حنجرتي و

يعتصرها، أشواك تزرع حول رقبتي فلا يبقى لصوت الاحتضار أثر..
..
..
انها ليالي أغسطس الحارة، لطالما كنت من جماهير الشتاء، فلا يروق لي الصيف ابدا! ولا حتى لياليه الخانقة..

ها انا انهي أخر رسمة لي، حيث أطلقت بها كل ما بداخلي.. فلقد كان نهارا طويلا ومرهقا!

حاولت ان اكل شيئا فلا اذكر انني تذوقت شيئا هذا اليوم، لم اكن اشتهي الطعام، ففي بعض الأحيان أشعر نفسي مقيدة من لذة الجوع..

كانت حرارة الصيف هذا العام تقتلني وتقتل بشرتي، ذهبت لأغسل وجهي، ولم يمض سوى ثواني

معدودة حتى أطلت النظر في المرآة، كنت أمعن في ملامحي وكأنني غريبة!

بكيت! ولست أدري لماذا.. أحسست بأن وجهي لم يعد كما كان، شعرت ببصمة الغصص تحت عيناي، اذ

شكلت غيمة سوداء أوجعت صدري..

تحسست جفناي المتورمان ولم امنع نفسي من البكاء، كنت كالجثمان بلا حراك انظر لنفسي بوهن..

لم أشعر بروح شبابي على محياي، أحسست بثقل رأسي فجأة، وبات كل ما حولي ظلاما دامسا!

جثيت على ركبتاي بوهن، كان صدري يخفق بشدة، حيث بدأ وخز فؤادي ينتشر في أنحاء جسدي، شعرت

لوهلة انني أحتضر، لم أستطع الصراخ! حاولت ان أنبس ببنت شفة الا انني فشلت، فلقد كان وخز قلبي

يزداد وجعا، كنت اموت ع مرئى عيناي، بكيت بصمت أخرس.. أحاول جاهدة ان أقبض بكل قوتي على

فؤادي علّني أوقف نحيبه، ولكن بلا جدوى! كان الاحتضار يزداد شيئا فشيئا..

شعرت بالغثيان، وددت لو أتقيأ هذا الكم الهائل من الوجع! أجهشت بالبكاء بلا صوت، كمن يغرز خنجرا

في جوفه بيديه..

كنت أتلوى وجعا، وحدي.. لا أحد يراني أو يسمعني.. كنت أنازع الموت لوحدي، لم يكن أقرب القرباء لي بجانبي، كنت وحدي في هذه الليلة كما كنت دوما..

....

عدت لغرفتي بعد صراع طويل ومرهق، كان النوم قد طار من عيناي والوهن ينهش جسدي يطلب الراحة المعدومة.. استلقيت بضعف كما يجلس عجوز في السبعين من عمره على زاوية الطريق..

كنت أراقب رجفة يداي التي مازلت تتراقص كطبول هندية مسعورة، شعرت بضعف قدماي فلم أستطع الحراك، كانت الدموع تشدو لحنا كئيبة و باتت كل مواسم الذكريات حالكة السواد، ألقيت بثقل رأسي و أفكاري على تلك الوسادة العتيقة لأذهب بعالمي الى الأفاق الوهمية، حيث أجدني شبلا يشدو شبابه حيث لا شيء يزعجني، لا الليل يأكلني ولا ظلام الروح يعتصرني ...

...
...

أين هي الحرية ؟ نطمح دوماً لأحلام ليست من مستوانا ، نبكي على قدرٍ لا يرحم ! نزرع أوهاماً على ورد العمر و نمضي بكل خوف من ان تضيع بنا السبل فلا نجد لمأساتنا مكاناً ..

و تمر الأيام و يمضي بنا مخاض الحنين ، حتي نموت ضحاياه .. فنمسي جثث هامدة بلا لون ، و شحوب الوجه يأكل من عمرنا سنيناً ، حتى يملأ الشيب صبابة الروح و يقتل الشغف ..

كأزهار حزيران تراودنا بساتينٌ بنفسجية بلورية ، نغدو أطيافاً لها ، كفراشات الأقحوان نركض نحو درب الخطى و بهجة الكون يتلألأ في أعيننا ..

كم لبثنا و نحن نسعى لذاتنا ! كم لبثنا و نحن ننتظر الحرية الأبدية ! لينطلق كل ما في جوفنا الى الربيع كما تسمو الطيور في أعالي السماء و تهاجر الروح الى البعيد ، الى الما لا نهاية و يطيب القلب من مرارة

الجفى..

..

أنهيت كوب الشاي ، و جلست ألملم أوراقي المتناثرة حيث تبعثرت أفكاري أيضا ..

لست أدري كم مضى من الوقت و انا على هذه الحال ، و كأن الألم استبد بي و لم يفارقني ابدا ..

حيث تذكرت كل شيء ! .. و تركت الوقت يتسابق مع حنين الروح ..

و عدت لأغني على وتر الهوى ، " كيف لي ان اقاوم تلك العينان ، و انا أرى السكون فيهما ، كيف للحب أن يخلق لغيرهما "..

فلقد خبئت حبك في الوجدان ، فلو أبصرت ما يضمنه القلب لك ، لرأيت مدينة تضج بالحياة ! و الدنيا تزف

كطبول هندية ، لرأيت ألوان الروح تزهر و تبحر في أمواج السماء ..

لرأيت حزيران يغني للربيع سلاماً لعينيك ..

فقلبي عليك !

يا من تربع وسط الفؤاد و استوطن الروح !

يا من أسر أوهامي و تملك أحلامي و كنت باسم العشق أشدو لك و أرنم على أوتار الولع ..

ترى كيف هو حال قلبك ! أتراك تذكرني كما أذكرك ؟ أتراك يجتاحك الحنين لتفاصيلٍ خلقناها يوما !

أجلس انتظر بفارغ الصبر على ان يأتي ذلك اليوم فألقاك .. ! انتظرت الاحد على نار !

و ما أشد شوقي ليوم الاحد ! لأقبل على عوالم جديدة بأوهامٍ و هواجس كاذبة ..

تأتيني أفكارٌ خانقة بانك لست لي ! و لم تكن لي يوماً !

فأعزف لناي الليل العتيق بان الاقدار لن تجمعنا ..

و لن تكون هنالك نهاية لهذه الحكاية الساذجة ، التي امتلأت بأوهام الهوى الاعمى ..

ستتغير طرقنا قريبا و لن يبقى لأثر رمادنا أثر ..

سنتلاشى مع غبار الأيام و نرحل و كأننا لن نكن شيئا مذكورا ..

هكذا نحن .. او هكذا انا ..

قد تكون رواية عابرة لم تلبث تحت قناديل العشق سوى لدقائق معدودة ..

حلمٌ استيقظت عليه الان ! و استحال على قلبي تصديقه ...

أبكي بحرقة مكبوتة ، فلا شيئ يؤرقني في عتمة الليل سوى عناقنا ..

لا شيء يؤلم صدري سوى نهاية حكاية لم تبدأ بعد !

دائما وأبداً كل ما كان ينقصني هو انت فقط ...

.....

أشهق بصمت أخرس ، أجفف دموعي المنهارة ، حقاً ... فأنت لم تحبني يوماً !..

و أتظاهر بأنني لا أبالي و الغصة تنهش فؤادي ..

و أتظاهر باللامبالاة و عيناي تلتهمان تفاصيلك !..

أحاول أن أقنع نفسي بأنني على الطريق المستقيم بينما انا في القاع عاجزة هامدة بلا قوى..

أردد دوما أيا ليتني مِتُّ قبل ذاك اليوم و لم أمت ضحية الجفى ..

كنت أصبح و أمسي و انا أدفن حبك بعجز أخرس كما تدفن الام فلذة كبدها ..

إليك فقط .. يا من بعثرني فتاتاً .. و أثار ضجة و فوضى في الفؤاد ..

أتراك بالحب عاشقاً ؟ أم ان البرود هو شيم من صفاتك ؟!

يا من تراني غارقة في عيناك ، أليس لي مكانا وسط جليد مدينتك المعتمة ؟!

علّني أرتشف من رحيق مدينتك قبلة ! ..

علني أنسى الصراعات التي تركتني أواجهها لوحدي بضعفٍ مميت !

حيث تركتني في بحرك أهيم و أهيم حتى غرقت و لم يعرف لي الكون سبيلاً ..

و انتظرتك يومها طويلا .. و لم تأت .

و ظننت بأن غيهب الليل سيجمع سفننا ، لكنك لم تُبحر !

و كأنك لم تعرف لي عنواناً من قبل ! و كأنني الغريبة في قُرى حدود مدينتك ..

لأدرك يومها بكل انكسار بانني الغريق .. و انت البحر ..

.....

و ها هي أيامنا تتوالى بصمت مخيف ..

صمتٌ لا يوحي بشيء ..

يرن صوتك في خلايا مخيلتي و يعلق وسطها فتأبى الروح بالنسيان ...

أذكر تفاصيلاً قدستها في عالمي ..

ضحكة عابرة في ممر هادئ ..

نظرات سريعة خاطفة ...

توتر ساذج يملأ الوسط فيخلق اختناقاً لست ادري من اين ! يمتزج بروح الفراشات المتراقصة و بتأوه المعدة

وجعاً و اعتصاراً ... أحاول التخلي لكنني أعجز !

كيف أغدو طيفاً حراً و عيناك تلاحقانني في كل مكان !

كيف ! كيف لي ان لا أغرق ! ..

لست أدري ماذا أقول ! هنالك الكثير في جعبتي ..

الكثير يملأ صدري حتى بات مزدحما لا يسع لي !

من أين أبدآ و الى أين أفر !

فنحن السفن التي لا مرسى لها ، و نحن اللاجئون من كل شيء حتى من ذاتهم ...

....
.....

في ليالي آذار الداكنة ..

و حينما كانت الدموع تأخذ لها مجلسا على وجنتاي

كتبت لك ليلتها ، ليتني لم أدخل عالمك ! ..

ليتني أحببتك من بعيد ! .. ليتك لم تقترب من شفاف قلبي ! ليتك بقيت مخفيا خلف الستائر ..

ليتنا لم نلتقي ! ليتني لم أعرف لعينيك عنوانا !

ليتني لم أعرف لصوتك لحناً ! .. ولا لهواك قصيدة ! ..ليتني دُفنت في غسق الليل و ألم أعرفك ! ..

يقتلني الندم مرارا و تكرارا ! أجهل كيف يداوي المرء غصصه و هو في لب قاتله عاشقاً !
...
أنتظر منك خبراً ، لعلك ترأف بحالي ! مازلت أنتظر منك جواباً يلبي احتياجي المكسور أليك ! مازال الليلة القمراء تُبحر بأمواجك الى مرساي علك تراني ولو لثواني ! ..

ألم أستحق أن تحبني ؟ ألم أستحق أن تراني كما أراك ! و انت الذي تضيء الكون في عيناي ، و كأن الروح و السلام ..

ألم تخبرك ألغازي بأني أحبك ؟ ألم تقص عليك عيناي بأنني المتّيم بك ! ألم تشعر بروحي تداعب روحك في غياهب الليل ! .. و كأنك الغريب عن عالمي و كأنك البعيد القريب لهواجسي ، و كأنك اللاشيء و العدم ، و كأنك الحياة ..

تلاشيت كما يتلاشى غبار الأيام العتيقة على رفٍ مكسور مهترئ ! تلاشت المشاعر و نبض الوجدان و مل ما ينطق إليك ، فكل ما يهلكني هو الليل يحمل ذكراك على لوح عتيق و هو يجهش بالغناء ..
....
.....
و هل أحببتك يوماً ؟
أسأل نفسي و انا احتسي كوب الشوكولا الساخن ، لا لم أحبك لذاتك ! و لكنني أحببتك لذاتي انا ! ، و هل

تُراني أقوى على فراقك ؟ نعم و لكن ليس لذاتك الانانية و انما لنقص ما يدور حولي ..

ندرك أحيانا بأننا لا ندور حول الأشياء لأننا نحبها و انما لأنها قد تكون النقص الذي يجتاحنا فيكتمل نورنا بوجودها ، و لسنا ندرك بأننا نلقي بأنفسنا الى الهاوية بحثاً عن ذاتنا الناقصة ..

نبحث أحيانا عن الأمان الذي ينقصنا ، او عن الروح التي تهوى عيوبنا و تحملنا الى آفاق الخيال ..

من ذا الذي يشبهنا ؟ لا نعلم بأننا نرمي بقلوبنا المبعثرة بين آيدي الغرباء و نحن نظن بهم السلام ، و نموت في نهاية المطاف محملين بأطنان الخيبات على أعتاقنا و نحن نهتف للهوى وتر الانكسار ..

هل أحببتك لأنك انت ؟ لا فلقد أحببتك لأجد بك ما كان ينقصني .. أوتكن تلك أنانية ؟ أدرك جدا أنها و ان كانت كذلك فهي لن تقارن بأنانيتك ! ..

انتظرتك طويلا حتى شاب من شاب و ذبلت الروح ، و انشق البحر و هو يبتلع القمر الذي لم يشأ أن يطيل النظر لصراعاتي . فر الجميع متململا ، الا انا بقيت كجذع يابس أبى الوداع ..

أسأل نفسي ، لماذا يهاب الانسان مواجهة الحقيقة ! كيف يحاول بشتى الوسائل أن يتصرف و كأنه لم يكن ما كان ! كيف للروح أن تقوى على دفن حزنها من أجل أن لا تفقد ما تهواه ! أويكون الهوى هو قاتل لضحايا هذا الزمان ؟! هل هي الذات الضعيفة تخشى المواجهة ؟

يكبر الانسان و هو يحلم بأن يجد نصفه المفقود على بقاع هذه الأرض و لم يدري انها رحله من التضحيات ! نظن أنفسنا أحرارا الا اننا مقيّدين بسلاسل ضعفنا و نقصنا ، نكابر كثيرا لأننا نخشى الكثير ! و تدفن الروح و تدفن ما بها من شغف و امل ..

نسمو و نعلو و الروح تتآكل شيئا فشيئا ، ثم ما نلبث ان نرى من نحب حتى نطير بأجنحتنا تلك التي لا تسعها حجم السماء ، و ننسى كل شيء و كأن شيئا لم يكن ، و نميل لما تميل به نفوسنا و نحلم بربيع جديد يحمل خطانا الى الكمال ، لنرى ما يكمل روحنا الهشة و يبحر على شواطئنا ..

نهرب كثيرا من كل شيء حولنا و نتمنى الموت ، الا اننا في الحقيقة نود النحاة من قساوة العالم و من مرارة الطروف و من انكسارات الهوى ، نطلب الموت و نحن نرجو ان نعيش بسلام ! ..

يحتاج الانسان في بعض الأحيان الى ان يهرب من نفسه ، من ذاته ، تؤلمنا أحيانا ذاتنا ، و قد تكون سببا في قتلنا ، فيهرب المرء الى البعيد ليجد ما يريد و ليعيد نظام حياته ! تمر على المرء فترات لا يعرف بها من هو! إذ لا يدري ماذا يريد و لماذا يعيش ؟ قد لا نفهم شيئا ، و قد يشعر المرء بأنه الغريب على نفسه كمغترب لا يذكر من رائحة تربته شيء يذكر ..

تغدو مجهولا لهويتك ، يقتلك التفكير و يستوطنك العذاب ، عذاب الذات الذي أن استوطن قَتَلْ ..

فيسير المرء مهزوز الجسد حتى يجثو على ركبتيه من ثقل رأسه ، و صدى صراخ حروبه تلتهم ما بقي منه حتى يعجز المرء عن وصفه ما يؤلمه ، ف يوخز صدره و يُثقل كاهله ، فتشيب سعادته و لا يبقى من عبقها أثر ..

.....

دقت الساعة الثالثة فجراً ..

لم يعرف النوم طريقا لعيناي ، و بات الكون كاحل السواد يغطي الأرض و يغطي روحي ..

أخبرتني ليلتها بأن الشغف لا يموت ، و عارضتك على هذا إذ يموت الشغف أن ماتت الروح ، و ان ماتت اللهفة و ان استوطن اليأس على مشارف مدينتك ..

يموت ان مات صاحبها ، و ان جفت ألوانه من لوحة النبض ! يموت ان انطفئت المشاعر ، كمائدة مملوئة بالزاد و الشهية معدومة ...

فلا الشهية تعود و لا الشغف يحيى مادام العجز يغطي محياي ، ماعاد للنبض معنى ان انعدمت العواطف ، كغصن يابس أوشك على الوقوع بلا ثمار ، فلم يعد لمجابهة الرياح جدوى ...

قد يظن المرء بأنه غير قادر على مجابهه نفسه ، إذ يظن انه سيقسط و يتهاوى أرضا كل ما حاول الوقوف ، فتميل روحه الى الراحة و ذاته تمنعه ! حتى توهن الجسد و يتهاوى ضعيفاً ..

و ما فائدة تلك الخطوات إن كانت بجثمان عاجز لا نبض له ! و اين هو حق الحياه التي تصرخ به روحك ! كيف للروح ان تناضل و هي لا تأخذ قسطها من الراحة ! فالروح هشة كالزجاج ، ان ثُقبت ، تظل عاجزة طوال عمرها بثقبها ..

يُجبر المرء على محاولة محو ما يؤلم صدره حتى يقوى على المسير ، حاولت كثيرا ، فعجزت ! كيف للمرء أن يسير كالأعوج على معرقلات الزمن ، فلن يبقى صامدا مهما حاول ، أعاود المحاولة على النسيان فأعجز مرة أخرى ، لأدرك بأنني انا التي لا تريد ان تنسى ! و ذاتي هي من تأبى تقبل ما حولي ، حتى غدت ذاتي عدوتي .

لم أعلم ليلتها كيف أواسي نفسي أو أواسي روحك المنهارة ، أخبرتك بأن العواصف لا تُخلّد الى الابد و سترسو سفنك بأواخر العاصفة ،مهما بلغت الأمواج حدها فإنها ستهدأ على مطلع الفجر ..

لم يدري كل منا ما كان يلجّ في صدر الاخر ، كل منا يحلم أثقاله على كتفه و يمضي في مدارات الدنيا بحثا عن الفرج .

.....

و ككل مساء و في كل وقت ، يزورني طيفك من جديد ، و لا أحد يعلم ما تخبئه خلف تلك الزيارة ! أتراك تأتي محملا بالأشواق ؟ ام انه الملل ؟ أمازلت في مدارات الزكان حائرا ! ألم تعرف الى اين تبحر بباخرتك في عرض الهوى ؟

لست أدري لمادا أكون مولعة بوهم عابر ! أتراك تراني ولا تبالي ؟ أم ان الكبرياء يسقيك نشوة الغرور !؟ كنت دوما مثالا للنرجسية العميقة ، حيث لا شيء سوى نفسك ..

اختنقت من شدة التفكير .. اذ لا أرى شبيلا لأسئلتي ! و لقد بلغ الشوق منتهاه .. يطفئني تارة و يقتلني تارة ،

اذ تتحول تلك الفراشات الى أشواك تُغرز في الروح !

.....
أحبك ..

و ليس بعد الحب ما يروي فؤادي العطش لنشوة الحب ! ..

و ليس بعد الهوى ما تفيض به الروح ، و كأنني أنعم بنعيم الخلد لوهلة و أسافر الى نهر الجوى و أشدو لك

أنين الشذى ..

يلومونني في حبك و لم يدروا بأنك الروح المبعوثة الى روحي ، و ليسوا يعلمون بغيهب الليل الذي يسرقني

الى ذكراك ..
اذ تنجو الروح و تورد الأرض القاحلة القابعة في جوف ظلي .
. .

احببتك في كل يوم مرة !

احببتك في كل الثواني ، و بين الدقائق
. .
احببتك كمن يملك مئات القلوب
!
و لو أفنيت عمري بأكمله انثر حبك بين فنايا الكون لمَ انتهى
!
أحببتك بروح طفل و بشغف عاشق و بولع نشوة صبابة الروح .. احببتك بكل ما املك ،

احببتك و انا اعزف للناي شدى صوت ضحكتك الرنانة
. .
احببتك بكل تفاصيلك .. احببتك حتى باتت عيوبك نجوماً تنير ظلمتي
. .
احببتك و انا التي لم اعرف للحب عنوانا من قبل
. .
احببتك و كل جوارحي تفيض بما يملئه الفؤاد
. .
احببتك و امسى هذا الحب يقتلني في هذه المعركة

. .
لم يعد يهمني شيء سوى انني احببتك و هذا يكفي
. .
لم يعد يهمني ما يُقال و ما قيل ، فانا فقط أحببتك
. .
احببتك بعاطفة ام جياشة ، احببتك وانا اليتيمة وسط هذه الفوضى
. .
احببتك فقط و هذا كل ما أريد
...
احببتك و اضحى الهوى يؤرق قلبي ليلا فلا النوم يعرف لي مطرحا ، و لكنني احببتك
. .
احببتك بالرغم من قناعتي بالنهايات الفارغة و بسطور الجوى التي تتلوى من نار الهوى
. .
احببتك رغم ابتعادنا
. .
احببتك رغم كل شيء و هذا ما كان ينقصني
. .
فكنت النقص الذي يملأني
. .
احببتك كمن لم يحب عشيقٌ لعشيقته
. .
احببتك و انا التي احمل كأس نبيذ الهيام و ادور في مدارات الزمن و ياسمين العمر يبث بعبقه في الارجاء
. .
احببتك و قلبي يؤلمني ، احببتك رغم ان الحب يوهنني
. .
احببتك رغم ضعفي و قله حيلتي .. و كأنني استمد قوتي من وصال الهيام ،،
.
احببتك فقط و هذا كل ما اريد
. .
احببتك و انا ارسم نهاية بلورية في دجى الليل لبداية لم تُحكى بعد
. .
احببتك و انا ارتشف من نبيذي قبلة ، و أبتسم لذكرى ابتسامتك التي لا يأبى طيفها من التردد في عالمي
. .
احببتك و شغف الروح و لوعة الحب تُبحر بي الى افاقٍ لم اراها من قبل .. الى سماء بنفسجية .. و نجوم
تتراقص في غسق الليل .. الى بلادٍ بعيدة يسودها عبق المطر و رائحة الجلنار المتيمم بتفاصيل نشوة الحب
. .
احببتك و ألحان حرية الهوى تعصف بأمواجي فتتلاطم و أغرقُ في صبوة العشق المنشود
. .

أحببتك حتى لو تكن لي

. .

فقط كنت اريد ان احيا على اوتار اغنية كتبناها على شطر قصيدتنا و غناها القمر في سكون ليالي أكتوبر

. .

أحببتك و الخوف يتربص بي لنهاية مجهولة يخفيها القدر

. .

احببتك و كأنك الفرصة الاخيرة التي امتلكها ،

احببتك بكل ما استطيع حتى خجل القمر متورد الوجنتين من جنون شغفٍ دُفن منذ عقود و ها هو ينبض للحياة

لحناً جديدا يحمل حب الكون بكفيه

. .

احببتك و انا ادرك لمدى خطورة أمواجه القاتلة حيث يُترك بصمة لا تُمحى على مدار السنين و يدفن مع

الروح و تغدو سطور الجوى ناراً تأكلها الروح المنكسرة

. .

احببتك و كلمة الحب لا تكفي لما تحمله المعاني من عواطف جياشة في الفؤاد .. احببتك و كأنك السكينة و

السلام .. احببتك و حفرت لمرساك طريقا لا يمحى ابدا

. .

احببتك بكامل اشرعتي و حريتي و انا المُبحرة في جوف بحارك

. .

احببتك فقط و هذا كل ما اريد

.

احببتك و بك شعرت بلذة الحب و نشوة الحياة يا أقرب العابرين ..

... ...

. . ...

ها هي عقارب السارعة تشير الى اقتراب منتصف الليل ، و أسرح الى البعيد ، أسرح بما يحدث في هذه الدنيا،

اذ اشعر بان الزوال قادم لا محالة و لا جدوى من الهروب ..

أخاف لوهلة .. أيعقل ان ينتهي حبنا المجهول !

أجهل ما هي نهاية كل تلك الخفايا ؟ و الى أين سيقودنا القدر ؟ ..

لست أخشى من المجهول و انما يراودني شعور غريب ، كما يتربص الأسد فريسته بكل هدوء ..

أتسائل أحيانا كيف ستكون نهايتنا ؟ الى أين ستطير بنا أجنحتنا ..

هل يعقل ان ينتهي حلماً أزوره في كل ليلة !

و هل يعقل أن تجف الأمواج و انا أبحر على أطلالها !

أيغدر بنا الزمان يوما ! ..

لست أدري ما الذي يحدث !

يحتاج الانسان أحيانا لملجئٍ يحتوي خفاياه و عيوبه ، لقوقعة تدفن سراب أوهامه الحمقاء ، يحتاج المرء دوما الى من يسمع ضجيجه و الا أمسى في كل ليلة و ضحاها يمر على الأطباء النفسيين ..

يوهمنا الواقع حتى بات مخيفا ! فيهم المرء بالهروب الى خياله بكل ما أوتي من قوة علّه يرمي بخوفه فالبحر.

فواقعنا مرير لا يرحم .. اذ يسرق منا قلوبا قد ألفناها ، و يسرق منا أروحا قد تداخلت بوجداننا ، يسرق من عمر صبوة العمر ، و يخطف من أيامنا قبلة الامل ، حيث يتركنا تائهين نجهل هويتنا ..

تقتلنا الحروب و تخطف منا الكثير ..

تشعل نيران الافئدة حيث لا أحد يستطيع اخماد لهيبها ..

حيث يدفن المرء فلذة كبده كمن يدفن روحه بيديه ، و يبكي على ترابٍ بلله الشوق و الخرمان ..

يعتصر قلبه اختناقا اذ يرفض عقله تقبل مر الواقع و حقيقة الموت ، فيصاب المرء بالجنون .. و لا يبقى للسلام في حياته معنى ..

طال الانتظار و نفذ صبر الفؤاد ، يحاول المرء ان يقف على قدميه ، ثم ما يلبث ان يذكر لحظات الفاجعة حتى

يجثو على قدميه باكيا يجهش بانكسار و شهقاته تأكل من نفسه عمرا ، و ينكمش على نفسه كهرة في زقاق شوارع ديسمبر القارسة ..

لا يعلم كم يمضي على المرء أياما و هو على نفس حاله ، يتلوى ألما و وهنا ! يحاول أن يفرك عينيه فيجدهما جبالا من الصخر يصعب عليه أن يغمضهما ، حينها لا يعرف لوجهه عنوانا و سواد تراب جفنيه يتكور في كل أنحاء ملامحه ، يحاول كبح دمعة تحاول الفرار فتشتد مقلتاه توهجا و احمرارا ، يحاول تلمس وجنتيه بألم ، انه بات لا يعرف من صاحب هذه الملامح الواهنة ، فيبكي .. يبكي على حاله و على واقعه ..

يعود الى غرفته ، يمسك بكأس نبيذه علّه ينسى ما يقتله ، فتتراءى له شريط ذكرياته و كأنه زقوم على قلبه ، يدور حول غرفته و هو يضرب برآسه بقوة ، ثم ما يلبث المرء الى ان يصبح ضحية الهستيريا ..

يفر من بيته و من ذكرياته ، يركض كالابله بين الشوارع و عيون الناس تنظر اليه شزرا ، ليجد نفسه قد عاد الى تراب الموت ، فيجلس قرب ذاك القبر و يهوي عليه بوهن و عجز ، ثم يحمل بيديه حفنه من التراب و تعود اليه الهستيريا .. حتى يهدآ و يغفو بجانب الزهور الذابلة على التراب المبلل اثر دموعه و يسافر بعيدا بصمت موجوع يضمه التراب فقط ..

....

.....

علمني كيف أنساك ، كنت كشبل يتراقص على وديان قلبي فسرقت ما تبقى منه و بعثرت ماكنت أحاول أن أرممه خلال بعدنا ، أخبرني ماذا أفعل ؟ أتراك تسرق النظر إلي ! أم أنني أتوهم في سراب حقيقي ! .. أخبرني فقط و كف عن بعث الفوضى في مدينتي فلم يبقى فيها سكينة الروح ..

وكيف أسامحك أخبرني و انت الذي انهيت تلك الحكاية لإرضاء غرورك و ابتعدت ..

فمالي أراك لان تزرع نظراتك هنا و هناك !!؟ أتراك تلعب دور العاشقين معي ؟ أم تحاول أن تمثل دور

المتعجرف بغروره و كبريائه ؟ ! فلقد بات هذا الدور يناسبك من رأسك لأسفل قدميك حتى بت أرى النرجسية في عينيك ..

ليتك فقط لم تكن بهذا البعد عني..
...
.....

لا أدري كيف أحمل تلك الخطيئة التي ارتكبتها بحق نفسي ! ..

كيف أمضي و لقد مسكتني متلبسة بجريمة الحب !..

كيف ؟..

كيف أنسى أنك لم تحبني قط ! ...

أخبرني أين أدفن خيبتي ؟.. و هل يعقل أن أبحر لموج غير أمواجك .. قل لي كيف سأنسى حبك و يزهر الاقحوان في طريقي ...

هل تشرق شمس نيسان على ضواحي مدينتي القاحلة و ينمو شغف الحياة من جديد ! ..

أخبرني فقط هل يسمعني البحر ان شكوت له خيبتي ؟ هل يضمني في قاعه ام يرمي بي على إحدى المرافئ النائية و يبحر بعيدا عني ...

أين أهرب من نفسي أرجوك أخبرني ! و هل هنالك جدوى من الانين ! فروحي تحتضر من جديد ..

تشبث بخيوط مهترئة على ضفاف النهر ، ذاك النهر الذي تبادلنا به إحدى حكاياتنا .. إحدى أغنياتنا ..

لم أدري كيف أوقع بي ذاك النهر ! كيف جفت عذوبته و باتت مائه تكتسي السواد القاتم ..

أحاول جاهدة أن أضحك على خيبتي الموجعة و أن أشدو لها طيات الهيام العالقة في ثنايا الروح و الذاكرة ..

و لكن أخبرني الى متى سأظل أختبئ في قوقعتي ! الى متى سأبقى أناشد الموت ! الى متى سيمسي الظلام نورا و تتفتح أزهار الجلنار في ربيع شبابي ..

منت تعلم بما يخالج صدري ! و لم تنبس ببنت شفة ! ألم يحدثك قلبك بأمري ! أم أنك مازلت لا تتألم لألمي ، أم أنك حقا لا تهتم لأمري !...

كيف أصارحك.. و انا التي لست أدري بماذا أصارح !

إن إكرام الحب دفنه ..

إن الحب ذاته خطيئة و جريمة لا مفر منها .. إذ يؤسفني أنني خضت هذه الجريمة معك !

فانت لست أهل لهذه الجريمة و لست تجدي نفعا في نقش سطور حكايتنا .. تلك الحكاية المبهمة ..

يؤسفني أن أبكي على نفسي لأنني اخترتك ! فانت لست كفؤ لكل ما يجري ..

إذ يسرح المرء أحيانا لسذاجة اختباراته و يجد بأنه الساقي لبراعم شيبه ..

يعز علي كل شي.. فكيف لي أن أدفن أشلاء من جسدي عاهدت و أقسمت على هواك !..

كيف أدفن بقايا حروف مازال لساني يتمتم بأنغامها و يحلف على الهوى ! ..

كيف أخبرني و لو قليلا كيف أدفن نفسي بيدي !...

يعجز الانسان عن البوح ، و هو مبهم مشوش من كل الخطايا التي غدت ظله لا تفارقه...

تمر على الروح ليال يجهل كيف نجى منها ..

أراقب بصمت أخرس و أنا أكتم وجعي في وجداني ..

أراقب بسكوت مبهم ، بدموع بكماء دون أن أفعل شيئا .. وددت لو قتلت نفسي قبل أن أهديك فؤادي المتهالك ..

و ها انا أراك تحرقه و تنثر أشلائه و رماده أمام مرآى عيناي ..

و ماذا عساي أن أفعل ! .. فلقد عجزت و بات الوجع ضريحا لي .. باتت لقمة الحياة لا تغريني ...

و لم هنالك لشهوة الدنيا عنوانا في كتبي ...

لقد حفرت قبرا باسمك ، لأضع به جثتي التي كنت الجاني بمقتلها ...

فانه يعز علي أن أموت بقبر لم ينقش باسمك ..
و سأخلد معي ذكرى الهوى المتيم .. الحب الفقير إليك .. علك تشعر بنسيمه في يوم ما ....
.....

السادس | من يناير ....